التداولية المدمجة دراسة في خطبة السيدة زينب بنت الإمام علي عليهما السلام في الكوفة

م.د. حيدر عبد الرسول عوض
جامعة بابل/ كلية الآداب
hayderawadh@yahoo.com

م. د. علي طرخان خرباط
جامعة بابل/ كلية الآداب
dapiytgjjr@gmail.com

الملخص

حظيت التداولية بأهمية كبيرة لدى اللسانيين بفعل شيوع الفلسفة البراغماتية، ومن التداولية ما عرفت بالتداولية المدمجة- التي دمجت بين الدلالة والاستعمال- أو الحجاج اللغوي وهو حجاج باللغة ومن اللغة، ومن هنا جاءت أهمية البحث فنظَّرنا لها من حيث أسسها وسلالمها وقوانين السلالم والروابط والعوامل، ثم طبقناها على نص موجز زاخر بالروابط والعوامل الحجاجية، ألا وهو خطبة السيدة زينب بنت الإمام علي عليهما السلام في الكوفة، بعد مقتل أخيها الإمام الحسين φ، فشاع فيها الاستفهام الإنكاري والنفي، وما فيها من العوامل والروابط التي كان لها الأثر في زيادة الطاقة الحجاجية للكلام.

الكلمات المفتاحية: التداولية، التداولية المدمجة، الحجاج اللغوي، العوامل الحجاجية، الروابط الحجاجية، السلالم الحجاجية.

The sermon of Mrs. Zainab, daughter of Imam Ali, peace be upon them both, in Kufa, a study in integrated deliberation

Summary

Pragmatics in general has been of great importance to linguists due to the prevalence of pragmatic philosophy, and from pragmatics is what is known as integrated pragmatism - which combined significance and use - or linguistic arguments, which are arguments with language and from language. Then we applied it to a brief text full of argumentative links and factors, namely, the sermon of Mrs. Zainab, the daughter of Imam Ali, peace be upon them both, in Kufa, after the killing of her brother, Imam Al-Hussein, peace be upon him, and it was spread in it denial and negation questioning, and others.

Keywords: deliberative, integrated deliberative, linguistic arguments, argumentative factors, argumentative links, argumentative ladders.

أولا: الجانب النظري:

أقدم تعريف للتداولية هو تعريف موريس ١٩٣٨م، فهي عنده: جزء من السيميائية، التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعمليها[١]، بعد أن قسَّم التواصل في الواقع على ثلاثة علاقات:

- العلاقة التركيبية (بين العلامات اللغوية نفسها) ويدرسها علم النحو.
- العلاقة الدلالية (علاقة العلامات بالأشياء) ويدرسها علم الدلالة.
- العلاقة التداولية (العلامات بمفسريها) ويدرسها علم التداولية[٢].

---

[١] ينظر: المقاربة التداولية: ٥.

[٢] ينظر: التداولية من أوستن إلى غوفمان: ٤٤.

فموضوع التداولية هو دراسة القسم الأخير ألا وهو اللغة في الاستعمال، مع عدم إهمالها للدلالة، وبالخصوص الدلالة الاستعمالية، وجاءت التداولية المدمجة لتدمج بين هذه المستويات[٣].

وقد ارتبط مصطلح التداولية المدمجة بـ(ديكرو) و(انسكومبر) فهي عندهما: ((نظرية دلالية تدمج مظاهر التلفُّظ في السنة اللسانية (بمعنى اللسان عند سوسير)))[٤]، فرفضت الفصل بين الدلالة والتداولية، ومجال البحث عندهما هو الجزء التداولي المدمج في الدلالة، وبيان الدلالة التداولية لا الخبرية الوصفية المسجلة في أبنية اللغة، وتوضيح شروط استعمالها الممكن[٥].

وهذا يعني أن التداولية المدمجة في الدلالة لا تعنى بالبحث عن الجوانب التداولية خارج إطار اللغة وإنما تبحث عنها داخل اللغة نفسها، فاللغة تحقق أعمالًا لغوية وليست وصفًا لحالة الأشياء في الكون، وهذا يستلزم أن يكون معنى القول صورة عن عملية القول لا عن الكون[٦].

وهي بهذا المعنى تختلف عن التداولية الجذرية، فالتداولية فيها ليست جزءًا مدمجًا في الدلالة بل هي مفصولة عنها، وحجتها استخدام التأويل في آن واحد بجوانب صدقية وغير صدقية[٧].

وتختلف عن التداولية العرفانية، التي رفضت أن يكون موضوعها النظام اللغوي فقط، وإنما تتعلق بالنظام المركزي للفكر، ويمثلها سبربر.

ولكنها تتفق معها في أمور عدة منها:

١- ترفض النظريتان المقاربة التقليدية بين المعنى الحرفي (معنى الكلمات في الجملة) وغير الحرفي(معنى إلقاء القول ،أو معنى المتكلم).

٢- الاهتمام بمفهوم التعليمة[٨]، وفي ذلك يقول هرمان: ((فالتداولية المدمجة ينبغي أن تتأسس على تداولية معتدلة تقدم الدلالة بوصفها سياقية أساسًا، كما تقترح تنسيق تحليل الدلالة بوصفها حقيقة))[٩].

وقد حدد لها ثلاثة خيارات فلسفية هي:

١- الفهم، الكفاءة المفترضة في التداولية المدمجة هي الفهم، وهو قيد للغة، فلا يمكن أن نصادر على وجود لغة إلا إذا كانت مفهومة.

٢- العقلانية في الخطاب، إن استراتيجيات الفهم هذه تسمح لنا بوضع استدلالات انطلاقًا من سلاسل خطابية، وهذه الاستدلالات ليست منطقية بل تنطلق من اللغة الطبيعية، أي تتم داخل الخطاب.

٣- السياقية، ولها أهمية كبرى في التداولية عمومًا، والمدمجة على الخصوص[١٠].

---

[٣] ينظر: التداولية المدمجة- بحث في المفهوم، د.مؤيد آل صوينت، بحث منشور ضمن كتاب انتظام المعرفة اللغوية.

[٤] التداولية والحجاج: ٢٠.

[٥] ينظر: الحجاج في اللغة، شكري المبخوت: ٣٥١.

[٦] التداولية والحجاج: ٣٥٤.

[٧] المصدر نفسه: ٣٦.

[٨] المصدر نفسه: ٨٣

[٩] لسانيات الخطاب الأسلوبية: ٢٣٠.

[١٠] ينظر: لسانيات الخطاب الأسلوبية: ٢٣٤-٢٣٩.

وميز انسكومبر وديكرو بين الجملة والملفوظ، فالجملة: مفهوم علمي نظري خاص بعالم اللسانيات، وليست حقيقة واقعية في عالم الناس، فهي وحدة لسانية مجردة وغير مرتبطة بالسياق، بخلاف دلالة الجملة المنظور إليها خارج استعمالاتها الممكنة، فحين نتوخى إسناد هذه الدلالة إلى الجملة نكون قد انتقلنا من مستوى الاستعمال اليومي إلى مستوى التفسير العلمي، والخلط بين هذين المستويين أوقع التصور الدلالي الكلاسيكي في التناقض.

فموضوع التداولية المدمجة الدلالة المستقاة من الجملة مؤطرة كوحدة مجردة يولدها المكون اللغوي مع القواعد والشروط الحافة بمكونات الجملة[١١].

الأسس التي تقوم عليها التداولية المدمجة

١- النظام اللغوي هدفه تواصلي لا إيصالي.

٢- لا يمثل اللسان مجموعة من الإمكانات النحوية داخل الجملة فحسب، إذ توجد شروط لغوية دقيقة تفيد تسلسل الأقوال وتعاقبها.

٣- دراسة المعنى يشتمل على جانبين هما: دلالة الجملة(المجال اللغوي) ومعنى القول(المجال البلاغي أو التداولي)، والتمييز بين الدلالة والمعنى ضروري كلما أردنا التمييز داخل عملية بناء المعنى بين دور العناصر اللغوية وغير اللغوية.

٤- العلاقة بين الأقوال حجاجية لا استنتاجية، والعلاقات الحجاجية ليست منطقية بل معان حجاجية مطروقة بين الناس[١٢].

التداولية المدمجة والحجاج

إن التداولية المدمجة نظرية دلالية لا صدقية، بخلاف التداولية الجذرية، وإنما هي تؤمن بأن المعلومات المفيدة لفهم الأقوال عند التواصل حجاجية لا إبلاغية، فقيمة القول الإبلاغية ثانوية بالنسبة إلى قيمته الحجاجية التي تعد أولية.

وللحجاج معنيان:

- الحجاج بالمعنى التقليدي، ويعني مجموعة من الترتيبات والاستراتيجيات التي يستعملها المتكلم في الخطاب قصد إقناع سامعيه، ويندرج في هذا الإطار تحليل الخطاب.
- الحجاج بالمعنى الفني، ويعني صنفًا مخصوصا من العلاقات بين المضامين الدلالية تحقق في الخطاب وتكون مسجلة باللسان، وتتميز العلاقة الحجاجية بكونها درجية أي تُربط بسلالم، وهذا الحجاج كما يذهب ديكرو هو موضوع التداولية المدمجة[١٣].

والحجاج عند ديكرو: أن يقوم متكلم ما بفعل الحجاج عندما يقدم قولًا (ق١) أو مجموعة أقوال يفضي إلى التسليم بقول آخر (ق٢) أو مجموعة أقوال أُخر. فالقول (ق١) هو الحجة التي يصرح بها المتكلم، أما (ق٢) فهي التي يستنتجها

---

[١١] ينظر: التداولية المدمجة- بحث في المفهوم، د.مؤيد آل صوينت، بحث منشور ضمن كتاب انتظام المعرفة اللغوية.

[١٢] ينظر: القاموس الموسوعي عن التداولية : ٨٤.

[١٣] ينظر: المصدر نفسه: ٩٢.

المستمع، وهذه النتيجة مصرح بها أو ضمنية، فالحجاج إنجاز لعملين هما: عمل التصريح بالحجَّة من ناحية، وعمل الاستنتاج من ناحية أخرى، سواء أكانت النتيجة مصرحًا بها أو ضمنية[١٤].

ويمر الحجاج عند ديكرو بثلاث مراحل على التوالي:

١- معنى الملفوظ (مرحلة الاتجاه ونقطة الانطلاق).

٢- توجيهه (مرحلة التوجيه).

٣- قوته الحجاجية (مرحلة النتيجة)[١٥].

الحجاج في التداولية المدمجة

يقوم الحجاج في التداولية المدمجة على أطروحتين:

١- الدفاع عن تصور لا وصفي للغة، مفاده أنَّ الأقوال لا تبلغ حالات أشياء في الكون (وظيفتها التمثيلية) بل تبلغ أعمالًا أي أعمال لغوية من قبيل: الأمر والوعد والتمني والإخبار والحجاج.

٢- الإحالة الانعكاسية أو الذاتية للمعنى، وتعني أنَّ معنى قول ما هو صورة من عملية إلقائه، أي: إن نفهم قولًا ما هو أن نفهم دواعي إلقائه، فيكون وصف معنى قول ما وصفًا لنمط العمل الذي من المفروض أن ينجزه القول[١٦].

وتتسم الحجج اللغوية بسمات عدة:

- أنها سياقية: فالعنصر الدلالي الذي يقدمه المتكلم يؤدي إلى عنصر دلالي آخر فالسياق هو الذي يصير حجة، ويمنحه طبيعته الحجاجية، فالعبارة تكون حجة أو نتيجة حسب السياق.
- أنها نسبية: فلكل حجة قوة حجاجية، قوية أو ضعيفة، تقدم لصالح نتيجة معينة.
- أنها قابلة للإبطال: الحجاج اللغوي نسبي ومرن وتدريجي وسياقي، بخلاف البرهان المنطقي والرياضي فإنه مطلق وحتمي[١٧].

السلالم الحجاجية

هي أن يقدم المتكلم حجتين أو أكثر لدعم نتيجة واحدة صريحة أو ضمنية، وتكون هذه الحجج متفاوتة بالقوة، فهو ((علاقة ترتيبية للحجج يمكن أن نرمز لها كالتالي:

ن(نتيجة)

د (حجة ١)

ج (حجة ٢)

ب (حجة ٣)

---

[١٤] ينظر: العوامل الحجاجية في اللغة العربية: ٢٧.

[١٥] ينظر: المصدر نفسه: ٣٠.

[١٦] ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية: ٣٥.

[١٧] ينظر: اللغة والحجاج: ١٩.

(ب، ج، د) حجج وأدلة تخدم النتيجة (ن)...ويتسم السلم الحجاجي بالسمتين الآتيتين:

أ- كل قول يرد في درجة ما من السلم يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنسبة ل (ن).

ب- إذا كان القول (ب) يؤدي إلى النتيجة (ن) فهذا يستلزم أن (ج) و(د) الذي يعلوه درجة يؤدي إليها والعكس غير صحيح، فإذا أخذنا الأقوال الآتية:

١- حصل زيد على الشهادة الثانوية.

٢- حصل زيد على شهادة الإجازة.

٣- حصل زيد على شهادة الدكتوراه.

فهذه الجمل تتضمن حججًا تنتمي إلى نفس الفئة الحجاجية وتنتمي كذلك إلى نفس السلم الحجاجي، فكلها تؤدي إلى نتيجة مضمرة من قبيل (كفاءة زيد) أو (مكانته العلمية)، ولكن القول الأخير هو الذي سيرد في أعلى درجات السلم الحجاجي...ويمكن الترميز لهذا السلم كما يلي:

ن=الكفاءة العلمية

د الدكتوراه

ج الإجازة

ب الشهادة الثانوية))[١٨].

قوانين السلم الحجاجي

للسلم الحجاجي قوانين أهمها:

١- **قانون النفي**: إذا كان القول يخدم نتيجة معينة فإن نفيه سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة، مثل:

- زيد مجتهد لقد نجح بالامتحان
- زيد ليس مجتهدا، إنه لم ينجح بالامتحان

فإذا قبلنا الحجاج الأول وجب قبول الثاني.

٢- **قانون القلب**: ويرتبط بقانون النفي ويعد متمما له، ويعني أن السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس سلم الأقوال الإثباتية، مثل:

- حصل زيد على الماجستير، وحتى الدكتوراه
- لم يحصل زيد على الدكتوراه، بل لم يحصل على الماجستير.

فحصوله على الدكتوراه أقوى دليل على كفاءته من حصوله على الماجستير، وعدم حصوله على الماجستير هو الحجة الأقوى على عدم كفاءته من عدم حصوله على الدكتوراه.

٣- **قانون الخفض**: إذا كان القول (أ) يشير على مجال من السلم، فإنَّ نفيه سيشير إلى المجال الأدنى في السلَّم نفسه، مثل:

---

[١٨] اللغة والحجاج: ٢١.

- الجو ليس باردا جدا
- الجو بارد
- الجو معتدل

فكل نفي لرتبة من السلم ينتج ما دونها في هذا السلم، فحين أقول: الجو ليس باردا جدا، فإنه يترتب على هذا النفي هو ما يقع أسفله وهو بارد أو معتدل، وليس غيرهما كقارس أو صقيعي[١٩].

والجدير بالذكر أنَّ الصفات هي أكثر أقسام الكلام تعبيرًا عن السلم الحجاجي، فكل كلمة محكومة بمظهرين حجاجيين: المعياري، وهو ما توفره بنيتها (إذن) من إمكانية تواصل واسترسال مثل: علي ذكي إذن ينجح.
وانتهاكي يكشف عن استرسال الخطاب بـ(لكن)، الماء دافئ لكن يمكن شرابه، والقهوة بادرة لكنها لذيذة[٢٠].

الروابط والعوامل الحجاجية

يمكن أن نميز بينهما بأنَّ ((الروابط تربط بين قولين أو حجتين على الأصح (أو أكثر) وتسند لكل قول دورًا محددًا داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة، ويمكن التمثيل للروابط بالأدوات التالية: بل، لكن، حتى، لا سيما، إذن،...))[٢١].
وأنواع الروابط هي:

- الروابط المدرجة للحجج (حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأن،...).
- الروابط المدرجة للنتائج (إذن، لهذا، وبالتالي،...).
- الروابط التي تدرج حججا قوية (حتى، بل، لكن، لا سيما،...).
- روابط التعارض الحجاجي (بل، لكن، مع ذلك،...).
- روابط التساوق الحجاجي (حتى، ولا سيما،...)[٢٢].

وأما العوامل الحجاجية ((فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية(أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج)، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما، وتضم...: ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما...، إلا، وجل أدوات القصر))[٢٣].

ويميز ديكرو بينهما بقوله: ((أما النوع الأول فهو ما يربط بين الأقوال من عناصر نحوية مثل...: (الواو، الفاء، لكن، إذن)... وأما النوع الثاني فهو ما يكون داخل القول الواحد من عناصر، تدخل على الإسناد مثل الحصر، والنفي، أو مكونات معجمية تحيل في الغالب إحالة غير مباشرة مثل (منذ) الظرفية، و(تقريبا)، و(على الأقل)))[٢٤]. فالروابط تختص بالربط بين عناصر الكلام، والعوامل تختص بالجملة كلها مثل الحصر والنفي[٢٥].

---

[١٩] ينظر: اللغة والحجاج: ٢٢-٢٤، المظاهر اللغوية للحجاج: ١٠٨-١٢٢.
[٢٠] ينظر: العوامل الحجاجية في اللغة: ١٢٤، وقد استعملت (لكن) بدلا من (رغم أن)؛ لأنها أنسب.
[٢١] اللغة والحجاج: ٢٧.
[٢٢] ينظر: المصدر نفسه: ٣٠.
[٢٣] اللغة والحجاج: ٢٧.
[٢٤] الحجاج في اللغة: ٣٧٦.
[٢٥] ينظر: المصدر نفسه: ٣٧٧

المبادئ الحجاجية

لضمان سلامة العملية الحجاجية، فلا بد أن تعتمد على مبادئ هي أشبه بمسلمات الاستنتاج المنطقي في المنطق الرياضي، فلا تكفي الروابط والعوامل لقيام العلاقة الحجاجية، بل لا بد من ((مجموعة من المسلمات والأفكار والمعتقدات المشتركة بين أفراد مجموعة لغوية وبشرية معينة، والكل يسلم بصدقها وصحتها، فالكل يعتقد أن العمل يؤدي إلى النجاح وأن التعب يستدعي الراحلة))[٢٦].

فقولنا: أنا متعب إذن أنا بحاجة إلى الراحة.

فالمبدأ الحجاجي فيها: بقدر تعب الإنسان تكون حاجته للراحة، ويمكن أن نصوغه صياغات أخر:

- كلما كان الإنسان متعبا كان بحاجة إلى الراحة
- يكون الإنسان بحاجة إلى الراحة، بمقدار ما يكون متعبا.

ومن خصائص هذه المبادئ: العمومية، فهي تصلح لعدد كبير من السياقات، والتدرجية فهي تقيم علاقة بين سلمين حجاجيين، والنسبية فيمكن إبطالها ورفضها[٢٧].

ثانيا: الجانب التطبيقي

سنطبق نظرية التداولية المدمجة بحسب العوامل والروابط الحجاجية، ووفق للسلالم الحجاجية في تحليل خطبة السيدة زينب عليها السلام في الكوفة لما تضمنتها من بنية حجاجية عالية وبينة، واعتمدنا على كتاب الاحتجاج للطبرسي[٢٨] في توثيقها.

أ- العوامل الحجاجية والروابط الحجاجية:

١- الحصر بـ(إنما)

(إنما) أداة حصر مكونة من (إن) الناسخة وما الكافة، يليها المحصور دائمًا[٢٩]، وقد وظفتْ عليها السلام هذا الرابط في تدعيم من القرآن الكريم، قولها: (إنما مثلكم كمثل التي﴿نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾[٣٠]) ، وقد استشهدت به على بيان حالهم من الحماقة وترك نصرة الحق بعد أن تم لهم الأمر وقدم عليهم الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته، ولم يبق لهم إلا أن ينصروه ويطيعوه ولكنهم لم يفعلوا، والرابط الحجاجي المقدر (لأن) بعد (تتخذون)، فحالكم كحال التي نقضت غزلها، لأنّكم تتخذون أيمانكم دخلا بينكم، ومعنى (دخلا) أن يكون الباطن خلاف الظاهر، فيكون داخل القلب على الكفاء والظاهر على الوفاء[٣١]، وهذه النتيجة هي عين حالهم، فظاهرهم يبكون على أهل البيت عليهم السلام، وباطنهم يوالون أعداءهم ويشتركون في قتلهم، والسلم الحجاجي لذلك:

إنما مثلكم كمثل التي(نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا). ن.

---

[٢٦] اللغة والحجاج: ٣٣.

[٢٧] ينظر: المصدر نفسه: ٣١.

[٢٨] ينظر: ٢٩/٢.

[٢٩] ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: ٣٨١.

[٣٠] سورة النحل: ٩٢.

[٣١] ينظر: جوامع الجامع: ٣٤٦/٢.

تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ. أ.

فـ(أ) سبب للنتيجة ن.

٢- النفي

يمثل النفي أحد قوانين السلم الحجاجي التي تحدثت عنها آنفا، وتمثل هذا القانون بالروابط الآتية:

- **(لا)**

(لا) أداة نفي، تدخل على الفعل الماضي قليلًا، وإذا دخلت فلا بد من تكريرها[٣٢]، فبعد أن افتتحت كلامها عليها السلام بوصف أهل الكوفة بأنهم: (أهل الختل والغدر، والخذل) دعت عليهم بعدم سكون عبرتهم وهدوء زفرتهم وحسرتهم بقولها:(ألا فلا رقأت العبرة ولا هدأت الزفرة) لأنها شاهدتهم يبكون على أهل البيت عليهم السلام وما حل بهم، فأرادت أن تبين أن أهل الكوفة كانوا سببًا بمقتل الإمام الحسين عليه السلام، فهم من بعثوا إليه الكتب أن أقبل علينا فـ((قد أينعت الثمار واخضر الجناب، فأقدم علينا فإنك إنما تقدم على جند مجندة))[٣٣] ثم عزف بعضهم عن نصرته وخذلوه وقتلوا رسوله مسلم بن عقيل φ، ودعَّمت الدعاء عليهم بهذه الحجة وهي قوله تعالى: ﴿نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾[٣٤]، أي: فبعد أن قدم عليكم الإمام الحسين بأنصاره وأهل بيته عليهم السلام تخليتم عنه، كالتي نقضت غزلها بعد أن أتمته، ثم تبعت ذلك بالحجة الثانية وهي: (هل فيكم إلَّا الصلف والعجب ، والشنف والكذب ، وملق الإماء وغمز الأعداء أو كمرعى على دمنة أو كفضة على ملحودة) ووظفت الرابط الحجاجي الواو وأو للربط بين أجزاء الحجة، والسلم الحجاجي لذلك:

ألا فلا رقأت العبرة ولا هدأت الزفرة، ن.

(إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم)ب.

(هل فيكم إلا الصلف والعجب ، والشنف والكذب ، وملق الإماء وغمز الأعداء أو كمرعى على دمنة أو كفضة على ملحودة) أ.

فـ(أ) و(ب) حجج للنتيجة (ن) وهي الحسرة والندم.

والموضع الثاني للعامل (لا)، قدَّمته عليها السلام كنتيجة وهي: ألَّا يستخفوا بأهل البيت عليهم السلام لما أصابهم، وأنَّ الله لم يثأر لهم وكأنه راض عما فُعل بهم فقالت: (فلا يستخفنكم المهل)، وقدمت الحجة الأولى قولها: (فإنَّه عزَّ وجلَّ لا يحفزه البدار ولا يخشى عليه فوت الثار) والرابط هو الفاء و(إن)، والرابط الآخر الواو عطفت الحجة الثانية على الأولى، والحجة التي قدمتها هي: (كلا إن ربك لنا ولهم لبالمرصاد، والسلم الحجاجي لها هو:

(فلا يستخفنكم المهل) ن.

(فإنه عزَّ وجلَّ لا يحفزه البدار ولا يخشى عليه فوت الثار) ب.

(كلا إن ربك لنا ولهم لبالمرصاد) أ.

- **لن**

حرف ينصب الفعل المضارع بنفسه، ويخلصه للاستقبال[٣٥]، فبعد أن لصقت بهم العار والشنار، قالت لهم: (ولن ترحضوها بغسل بعدها أبدا) أي: لن تغسلوا[٣٦] هذا العار، وهو اشتراككم بقتل الإمام الحسين عليه السلام، وقدمت حجة على

---

[٣٢] ينظر: الجنى الداني: ٢٩٧.

[٣٣] البداية والنهاية: ١٩٤/٨.

[٣٤] سورة النحل: ٩٢.

[٣٥] ينظر: الجنى الداني: ٢٧٠.

ذلك قولها: (وأنى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة، وسيد شباب أهل الجنة ، وملاذ حربكم ، ومعاذ حزبكم ومقر سلمكم ، واسى كلمكم ومفزع نازلتكم ، والمرجع إليه عند مقاتلتكم ومدرة حججكم ومنار محجتكم). وقد عطفت الحجج بالرابط (الواو).

ثم قدمت حجة ثانية، قولها: (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا)[٣٧]، وهو تدعيم من القرآن الكريم لحجتها. والرابط هو اللام وقد.

ثم حجة ثالثة ورابطها كرابط من سبقتها قولها: (لقد جئتم بها شوهاء صلعاء، عنقاء ، سوداء ، فقماء خرقاء كطلاع الأرض، أو ملأ السماء).

ولم تكتف بهذا بل أتت بحجة رابعة لتبين شناعة فعلهم، معتمدة على الاستفهام الإنكاري لتأدية المراد، بقولها: (أتدرون ويلكم أي كبد لمحمد صلى الله عليه وآله فرثتم ؟ ! وأي عهد نكثتم ؟ ! وأي كريمة له أبرزتم ؟ ! وأي حرمة له هتكتم ؟ ! وأي دم له سفكتم؟)، وقد ربطت بين الحجج بالرابط الواو، والسلم الحجاجي لذلك:

ولن ترحضوا أبدا، (لا ينغسل هذا العار) ن.

وأنى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة، ...،ث.

لقد جئتم شيئا إدا تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا، ت.

لقد جئتم بها شوهاء صلعاء، عنقاء ، سوداء ، فقماء خرقاء كطلاع الأرض، أو ملأ السماء، ب.

أتدرون ويلكم أي كبد لمحمد صلى الله عليه وآله فرثتم ؟ ! وأي عهد نكثتم ؟ ! وأي كريمة له أبرزتم ؟ ! وأي حرمة له هتكتم ؟ ! وأي دم له سفكتم؟ أ.

ف(أ) و(ب) و(ت) و(ت) و(ث) حجج للنتيجة (ن).

٣- الاستفهام

من العوامل الحجاجية الاستفهام وأصل أدواته هي (أ)، وقد استعملتها عليها السلام في الاستفهام الإنكاري كثيرًا ووظفتها أيما توظيف في خطبتها هذه؛ لتنكر على أهل الكوفة فعلتهم الشنيعة، فبعد كل الذي فعلوه يبكون الحسين عليه السلام، لذا قالت لهم: (أتبكون أخي؟!)، وهي نتيجة مستنكرة، ثم ربطت النتيجة بالسبب بروابط حرف الجواب (أجل) والفاء، و(إن) قولها: (أجل والله، فابكوا فإنكم أحرى بالبكاء)، والسلم الحجاجي يكون كالآتي:

(أتبكون أخي؟!) ن

(أجل والله، فابكوا) ب.

(فإنكم أحرى بالبكاء) أ.

ف(أ) و(ب) سببان للنتيجة ن.

ومن الاستفهام أيضا بـ(أ) قولها عليها السلام في ذيل خطبتها: (أفعجبتم أن تمطر السماء دما)، وهو استفهام تنكر فيه عجبهم أن السماء مطرت دما، وهي تشير بذلك إلى حادثة تاريخية ثابتة وقعت بعد مقتل الإمام الحسين ρ، رواها الثعلبي(ت: ٤٢٧هـ) والقرطبي (ت: ٦٧١هـ) عن "سليم القاضي، قال: مطرنا دماً أيام قتل الحسين"[٣٨]، وروى البيهقي(ت: ٤٥٨هـ)، وابن عساكر(ت: ٥٧١هـ)، عن "نضرة الأزدية قالت: لما قتل الحسين بن علي مطرت السماء دما، فأصبحت وكل شيء ملآن

---

[٣٦] ينظر: الصحاح: ١٠٧٧/٣.

[٣٧] سورة مريم: ٨٩، ٩٠.

[٣٨] الكشف والبيان: ٣٥٣/٨، الجامع لأحكام القرآن: ١٤١/١٦،

دما"[٣٩]، وفي رواية: "فأصبحنا وحبابنا وجرارنا مملوءة دما"[٤٠]، وروى الشامي(ت: ٩٤٢هـ) عن "ابن السدي عن أم سلمة قالت : لما قتل الحسين رضي الله تعالى عنه مطرنا"[٤١]، وغيرها من الأحاديث التي تثبت ذلك، وهو نتيجة لما فعلوه مع الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام، وذكرته السيدة عليها السلام في ذيل خطبتها بوصفه نتيجة بعد أن بينت إجمالا شناعة أفعالهم التي هي أسباب لتلك النتيجة وهي مطر السماء دما.

ومن أدوات الاستفهام أيضا (ماذا) الذي ختمت بها عليها السلام خطبتها، وجاءت بها شعرا قولها:

"ماذا تقولون إذ قال النبي لكم: ماذا صنعتم وأنتم آخر الأمم

بأهل بيتي وأولادي وتَكرُمتي منهم أسارى ومنهم ضرجوا بدم؟!"

فالسيدة عليها السلام أنكرت فعلهم بلسان النبي صلى الله عليه وآله، وأنه لا يصح أن يكون نتيجة لسبب ذكرته بقولها:

ما كان ذاك جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحم

وهو نصيحة النبي صلى الله عليه وآله لهم، وأنهم قابلوا إحسانه بإساءة وأي إساءة؟! موظفة ذلك بعامل حجاجي آخر وهو النفي بـ(ما)، رابطة ذلك بـ(إذ وأن)، والسلم الحجاجي لذلك:

(قتل أهل البيت عليهم السلام وأسر ما بقي منهم) ن

(نصيحة النبي صلى الله عليه وآله لهم) س

وما ذكرته عليها السلام يمكن أن نصطلح عليه بالنتيجة العكسية، وهي أن تكون النتيجة غير مناسبة للسبب، وهو في غاية الإنكار، إذ لم تكتفي بإنكار فعلهم، بل بينت أن فعلهم لا يصح أن يكون نتيجة للسبب. وهذا من يعد نوادر الحجاج.

٤- (كثيرا وقليلا).

من العوامل الحجاجية (كثيرا وقليلا)، وتستعمل لتقييد الكلام، وقد وظفتهما عليها السلام بقولها: (فابكوا كثيرا ، واضحكوا قليلا)، كنتيجة لفعلتهم ألا وهي تلطيخ أيديهم وملابسهم بالدماء الزكيَّة، وهذه الصبغة ملازمة لهم فكلما شاهدوها كثر بكاؤهم وقل ضحكهم، لذا قالت: (فقد أبليتم بعارها ، ومنيتم بشنارها)، وقد ربطت بين النتيجة وهي طول البكاء والسبب (لبس العار) بالرابطين الحجاجيين: الفاء، والواو، والسلم الحجاجي يكون كالآتي:

(فابكوا كثيرا ، واضحكوا قليلا) ن.

(فقد أبليتم بعارها) ب.

(ومنيتم بشنارها) أ.

ف(أ) و(ب) أسباب للنتيجة ن.

---

[٣٩] دلائل النبوة: ٤٧١/٦، تاريخ مدينة دمشق: ٢٢٧/١٤.

[٤٠] الصواعق المحرقة: ١٩٤.

[٤١] دلائل النبوة: ٤٧١/٦، تاريخ مدينة دمشق: ٢٢٧/١٤.

النتائج

انتشرت التداولية عموما لسيادة الفلسفة البراغماتية النفعية القائمة على أن قيمة الشيء بمنفعته لا بحقيقته وصحته، ومن التداولية ما عرفت بالتداولية المدمجة أو الحجاج اللغوي الذي انتشر الاهتمام به هو الآخر بفعل اتخاذ الهيمنة منحى آخر وهي الحرب الفكرية، والسيطرة على الشعوب بالحجاج والفكر، لا بالقوة والحرب المادية التي لم تعد تجدي نفعا؛ لأنها تتناقض وما رفعوه من مبادئ حقوق الإنسان واحترام الآخر وغيرها من الشعارات الجوفاء.

الغاية الأولى من اللغة في التداولية المدمجة هي الحجاج وليس التواصل والتعبير، وفي هذا الرأي من المبالغة ما لا يخفى.

ساد الحجاج في خطب التراث العربي عموما، وخطب العصر الأموي خصوصى؛ لما انتشر من مذاهب فكرية ودينية وصراعات مذهبية وسياسية، كل منها يسعى لإثبات صحة معتقده، وهذا بدوره انعكس على النتاج الأدبي، ومن تلك النصوص خطبة السيدة زينب عليها السلام في الكوفة بعد مقتل أخيها الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام، التي زخرت بالحجاج وما فيه من العوامل والروابط كان لها الأثر في زيادة الطاقة الحجاجية للكلام.

المصادر والمراجع

- الاحتجاج: الشيخ أحمد بن علي الطبرسي(ت :٥٤٨هـ)، تعليق وملاحظات: السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٦ هـ -١٩٦٦م.
- البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت:744هـ)، تحقيق وتدقيق وتعليق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ، ط1، 1408هـ - 1988م.
- البلاغة فنونها وأفنانها: د. فضل حسن عباس، دار الفرقان، ط١٠، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
- تأريخ مدينة دمشق: علي بن الحسن الشافعي المعروف بابن عساكر(ت: ٥٧١هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤.
- التداولية المدمجة- بحث في المفهوم، د.مؤيد آل صوينت، بحث منشور ضمن الكتاب الجماعي انتظام المعرفة اللغوية، لمؤيد آل صوينت، خالد خليل هويدي، الدار العربية للعلوم، ط1، 2013م.
- التداولية من أوستن إلى غوفمان: فيليب بلانشيه، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار، سوريا، ط1، 2007م.
- التداولية والحجاج مداخل ونصوص: صابر الحباشة، صفحات، ط1، 2008م.
- الجامع لأحكام القرآن: شمس الدين القرطبي(ت: ٦٧١هـ)، تصحيح: أحمد عبد العليم البردوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د. ت.
- الجنى الداني في حروف المعاني: الحسن بن قاسم المرادي(749هـ)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، و أ. محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ -1992م.
- جوامع الجامع: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي(ت: 548هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرفة، ط1، 1418هـ .
- دلائل النبوة: أحمد بن الحسين البيهقي(ت: ٤٥٨هـ)، وثق أصوله وعلق عليه: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): إسماعيل بن حماد الجوهري، (ت:٣٩٣هـ) ، دار العلم للملايين ، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م .
- الصواعق المحرقة في الردّ على أهل البدع والزندقة: أحمد بن حجر الهيتمي (ت: ٩٧٤هـ)، خرَّج أحاديثه وعلَّق حواشيه: عبد الوهاب عبد اللطيف، شركة الطباعة الفنية، ط٢، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م.

- العوامل الحجاجية في اللغة العربية: د. عز الدين الناجح، دار نهى، ط1، 2011م.
- القاموس الموسوعي للتداولية: جاك موشلر وآن ريبورل، ترجمة: مجموعة من الأساتذة في الجامعات التونسية، دار سيناترا، 2010م.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد الثعلبي(ت: ٤٢٧هـ) تحقيق: أبو محمَّد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ والتداولية: صابر الحباشة، دار الحوار، ط1، 2010م.
- اللغة والحجاج: د. أبو بكر العزاوي، العمدة، الدار البيضاء، ط1، 2006م.
- المظاهر اللغوية للحجاج: رشيد الراضي، مؤمنون بلا حدود، ط1، 2014م.
- المقاربة التداولية: فرانسواز أرمينكو، ترجمة: د. سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، ط1، 1987م.
- نظرية الحجاج في اللغة، شكري المبخوت، ضمن الكتاب الجماعي أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، 351- 385، المطبعة الرسمية، تونس، د.ت.